# نشأة البابوية وتطورها

**-تأسيس الكنائس وتطور مكانة الأسقف:**

من المُسلّم به أن الديانة يدعو إليها الأنبياء المرسلون، بينما رجال الدين هم من يتولى تنظيمها مثل ما حدث في الديانة المسيحية، حيث تولى الرسل التبشير بها، وذلك يعد من أعمال الكنيسة، فأصبحوا يدعون إلى الدين في إقامتهم ورحلاتهم، فأنشأوا الكنائس وكونوا الجماعات المسيحية في مدن الإمبراطورية الرومانية، ومن خلال رسائل القديس بولس تظهر العلاقة جلية بين الكنائس ومؤسسيها، وبانقطاع التبشير في مستهل القرن الثاني الميلادي تأسست في العالم المسيحي كنائس محلية، يخضع كل منها لسلطة الأسقف الذي يدير شؤونها الدينية[1].

ولم يكن الإجراء الذي قام به الإمبراطور قسطنطين الكبير (305-337م) وحيدا والذي بموجبه منح الكنيسة المسيحية حرية العبادة الدينية في عام 313م، بل أصدر أيضا مرسوما به تتم إعادة الممتلكات الكنسية التي صودرت أثناء الاضطهاد، فقد كان لذلك بالضرورة آثارٌ بعيدة المدى لصالح الكنيسة المحلية في روما[2].

وبعد فقدان هذه الأخيرة(روما) لمكانتها السياسية، أصبح من البديهي أن يتولى الأسقف السلطة لأنه كان أكبر رجال الكنيسة الغربية مرتبة[3]، إذ وجدت الكنيسة في البابوية خير وسيلة في جمع شملها وتحقيق طموحها، وهكذا أصبح البابا رأس الكنيسة الغربية الكاثوليكية ومصدر ولايتها وحارسها الأول لقوانينها ونظمها وعقيدتها، الذي استمد سلطته من تعيين المسيح عليه السلام له مباشرة، فالبابا خليفة القديس بطرس في كرسيه الأسقفي بروما، وهذا الأخير (بطرس) زعيم الحواريين ومقدم الرسل الذي اتخذه المسيح أساسا بنى عليه كنيسته[4].

**-ازدياد نفوذ الأساقفة بعد سقوط روما:**

لقد ازداد مركز البابوات قوة ونفوذا على الغرب بعد انقطاع سلسلة الأباطرة سنة 476م[5]، وأصبح البابا رأس الجهاز السياسي في أوربا العصور الوسطى، بحيث أُعتبر ملك الملوك وأمير الأمراء،

وانطلاقا من هذا بدأت البابوية تنظم سيادتها على أسس إقطاعية، وتطابق الجهازان الكنسي والسياسي تطابقا محكما في غرب أوربا[6].

**-البابا جريجوري الأول ونفوذ البابوية:**

بوصول البابا جريجوري الأول (العظيم) (590-604م) إلى عرش البابوية، بدأ يعمل على تقوية النفوذ السياسي للبابوية على العالم المسيحي بشقيه الغربي والشرقي، علما أن هناك عوامل ساعدت على نجاح هذه السياسة، ومنها الظروف التي سادت بايطاليا، وانصراف الإمبراطورية البيزنطية لمعالجة مشاكلها في الشرق، وبهذا تحملت البابوية عبء المسؤولية في الغرب اللاّتيني[7].

وبعدها حدث الانشقاق المذهبي والسياسي[8] بين الشرق والغرب حول مشكلة اللاّ أيقونية[9]، وفي التفاف شعوب الغرب حول البابوية لتقف موقفا سياسيا مضادا للقسطنطينية، كما ظهر إحياء الإمبراطورية الغربية في عهد شارلمان، ولكن سرعان ما تدهورت بعد تقسيم الإمبراطورية الكارولنجية، فأصبح من الضروري الإصلاح الكنسي، وأن هذا الإصلاح يتوقف على قيام سلطة كنسية مركزية قوية، تقف في وجه السلطة الزمنية وإجبارها على الاعتراف بسيادة الكنيسة[10].

**-البابا جريجوري السابع وازدياد نفوذ البابوية:**

لقد بلغت الكنيسة مرحلة حاسمة في تاريخها منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، حيث برزت شخصية البابا جريجوري السابع Gregory VII (1073-1085م) أعظم بابوات العصور الوسطى، إذ كان موقفه عنيدا تجاه الإمبراطورية وإرغامها على الاعتراف بسمو البابوية، وبأن هذه الأخيرة مصدر كل السلطات الدينية والسياسية[11].

لقد كان له بالفعل تأثير حاسم في مصير البابوية، إذ أنه حاول تجسيد برنامجها وأيديولوجيتها، ولهذا كانت البابوية تحت قيادته الجريئة مدفوعة بقوتها الداخلية وبرنامجها لتصبح مؤسسة ذات أبعاد أوروبية[12]. وفي صراعه مع المؤسسة السياسية استخدم البابا جريجوري السابع سلاحين روحيين، وهما عقوبة الحرمان ضد فرد معين بذاته Excommunication، أي يصبح الشخص منبوذا من المجتمع لا

يمكن التعامل معه، أما الحرمان الثاني فهو الاجتماعي(Interdict)، الذي يخص به مجتمع بأكمله سواء كان هذا المجتمع مدينة أو إقليما أو مملكة بكاملها، وكان لذلك أثرٌ بالغٌ في ازدياد نفوذ البابوية[13].

**-البابا إنوسنت الثالث ومكانة البابوية:**

لقد وصلت البابوية إلى درجة متقدمة في عهد البابا إنوسنت الثالث Innocent III ( 1198-1216)، وخلال فترة حبريته (رئاسته المقدسة) بدأت الهزات الأولى للصراع بين البابوية وسلالة ستاوفن Staufen الألمانية[14]، وقد أصبحت البابوية في مركز مرموق لها تنظيمات خاصة بالبلاط البابوي وسياسة ثابتة تجاه السلطة السياسية، وسيطرة تامة على الهيئات الدينية[15].

كما أصبحت المحكمة البابوية في عهد البابا إنوسنت الثالث، جهاز قضائي تنظر في جميع القضايا المرفوعة إليها، وكان البابا نفسه ينظر في القضايا ويساعده بعض الكرادلة، حتى وإن كانت بعض القضايا يتم تحويلها إلى كبار رجال الدين، في الأقاليم التي جاءت منها مختلف القضايا، وأصبح الديوان البابوي أعظم جهاز إداري في العصور الوسطى، وأن الحكومة البابوية بدأت تتطور شيئا فشيئا، إلى أن برز التخصص في البلاط البابوي، أي نشوء جماعات وهيئات من الموظفين لكل منها عملها الإداري المعين[16].